المحاضرة 5: المصادر التاريخية (كيفية تقييمها وتوظيفها)

أولا:/ تعريف المصادر التاريخية :

المصادر التاريخية هي كافة الأدلة والآثار المادية والمكتوبة والشفوية التي خلفها البشر، وتشمل الوثائق، الآثار، المخطوطات، والروايات، وهي المادة الخام التي يعتمد عليها المؤرخ لإعادة بناء الماضي وتوثيق الحقائق وتصحيح المغالطات التاريخية وحفظ الذاكرة الوطنية والتراث الثقافي للأمم مما يتيح فهم الحاضر وتوقع المستقبل بناءا على تجارب الماضي

ثانيا: أنواع المصادر التاريخية:

تنقسم إلى مصادر أولية (معاصرة للحدث) وثانوية (هي المراجع والتفسيرات اللاحقة)

أ/ المصادر الأولية (الأصلية) :

هي المادة الخام التي تنتمي للعصر المدروس، وتتميز بدقتها ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها لكتابة التاريخ مهما تنوعت تحقيباته واختلفت مواضيعه، ونجد منها:

1/ الوثائق التاريخية:

تعتبر الوثيقة من أهم أنواع المصادر الضرورية لكتابة التاريخ،وهي على أنواع منها الوثائق التي تُعد من شواهد التاريخ مثل: التقارير الرسمية، وعقود البيع، ومنها وثائق هي عبارة عن مراسلات ومعاهدات رسميّة، وتبرز القيمة التاريخية للوثيقة في عرضها لأول مرة من طرف الباحث ، لهذا عملت العديد من الدول في العالم على إنشاء مراكز ودور للأرشيف تعنى بالحفاظ على هذه الوثائق وإتاحتها للباحث وفق شروط قانونية محددة مثل: دار المحفوظات المصرية، دار الوثائق البريطانية...وغيرها.

وبالنسبة لتاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط فتتنوع الوثائق التاريخية التي تحوي في طياتها مادة للكتابة التاريخية ونجدها على أنواع عدة منها: كتب التاريخ السياسي، كتب الجغرافيا والرحلات، كتب الطبقات والتراجم والسير، كتب الفقه والنوازل، كتب التصوف والمناقب.

2/المخطوطات:

وهي الوثائق التي تم العثور عليها من طرف الباحثين وتحوي أفكارا وآراء كاتب أو مؤرخ عاش حدثا ما وعمل على تدوينه ويكون معاصرا للحدث أو قريبا منه زمنيا، وعند العثور عليها يعمل الدارس في حقل التاريخ على تحقيقها مع مراعاة اللغة التي كتبت بها والخط هل هو للمؤرخ أو الناسخ وهل هي النسخة الأولى أم الثانية

نظرا لبعض الزيادة أو النقصان الذي يلحق بها ومن أمثلتها: التقارير الرسمية، الرسائل، الصحف القديمة، والسجلات الحكومية.

3 / المذكرات الشخصية:

تُعرّف على أنها الكتابات التي كتبها أشخاص لهم صلة بالحكم أو كانوا فاعلين في حادثة تاريخية مهمة أو شهود عليها من قريب أو بعيد، وتعتبر المذكرات الشخصية تكملة لما صمتت عنه الوثائق التاريخية، ورغم قيمة هذا المصدر لا يمكن أخذه على أنه حقيقة مطلقة بل يجب إخضاعها للتمحيص لإمكانية وجود النزعة الذاتية فيها.

4/ المصادر المادية الأثرية:

وتتمثل خاصة في النقوش والحفريات والدراسات الأثرية ، وكل المخلفات المتعلقة بمرحلة زمنية معينة كالرسومات والكتابات والنقوش على الأحجار والجدران والأشجار وتسمى" علم الكتابات على الأحجار–الباليوغرافيا– أو وثائق ما قبل التاريخ أي قبل أن يعرف الإنسان الكتابة وبعد أن عرف الكتابة حوالي 3200ق.م حيث انتقل إلى عصر التدوين والوثائق المكتوبة، يُضاف إلى ذلك أيضا المخلفات الأخرى كالأواني الفخارية، أو النقود، الزخارف، الأسلحة ، والمنشآت المعمارية، والأثاث الجنائزي والتي ترمز إلى منظومة اجتماعية وعقائدية كانت سائدة عند شعب من شعوب المنطقة محل الدراسة، كما تكشف عن الحالة السياسية والمستوى الاقتصادي.

5/ المصادرالغير مادية (الشفوية):

كالروايات المتناقلة، الشهادات الحية، والمقابلات، فقد اعتمد القدامى مثلا في تدوين تاريخهم على الأسلوب القصصي والرويات الشفهية كالإغريق "أشعار هوميروس" كأول نوع من الكتابة التاريخية الإغريقية وتضمنت تمجيد الأبطال والمعارك التي قاموا بها في القرن 9 ق.م، ثم جاءت مرحلة التدوين بعد ذلك من قبل هيرودوت، وعليه يلجا الباحث إلى الاستعانة بالتاريخ الشفوي لملأ الفراغ الموجود في المصادر المادية أو لتأكيد بعض ما ورد في هذه المصادر ومقارنتها؛ كما يلجأ أيضا إلى المقابلات والمناقشات بينه وبين أشخاص لهم اتصال وثيق بالحادثة التاريخية أو عايشوها من قريب أو بعيد عن طريق المناقشة المباشرة والأسئلة الشفوية، وتكون إجابات المصدر مسجلة على جهاز بالصوت والصورة ليكون التثبيت مؤكدا.

ب/ المصادر الثانوية:(المراجع)

وهي دراسات وومؤلفات اعتمدت على المصادر الأولية، مثل الكتب والموسوعات التاريخيةا /الأبحاث والرسائل الأكاديمية (ماجستير/دكتوراه)/ دوائر المعارف والمعاجمم الدوريات، وهي ذات أهمية بالنسبة للمؤرخ في كتابة التاريخ،

وتكون منهجية الاستفادة منها عن طريق انتقاء وجمع المادة العلمية التي تحتويها، كما يستفيد منها عن طريق المصادر التي وظفتها فضلا عن المنهجية العلمية التي اعتمدتها في عرض الأفكار وتحليلها.

ثالثا/ أهمية المصادر التاريخية:

–توثيق الحقائق: توفر المادة الأساسية لكتابة التاريخ ولا يمكن للمؤرخ كتابة التاريخ بدونها مثل الوثائق، النقوش، الآثار ، وتمكن الباحث من الكشف عن الحقائق.

. **–تصحيح الروايات التاريخية المغلوطة:** لاسيما التي يفرضها الاستعمار أو التأريخ المتحيز.

–التحليل والفهم: تُعطي نظرة شاملة عن الحياة في حقبة زمنية معينة.

رابعا/ منهجية التعامل مع المصادر:(كيفية تقويمها وتوظيفها)

تتطلب دراسة التاريخ منهجية علمية، تبدأ بجمع المصادر (بالمعاينه أو التوثيق)، ثم نقدها (الغربلة) للتمييز بين المعلومات الصحيحة والمغلوطة، وأخيراً تحليل المعلومات وتركيبها للخروج باستنتاجات تاريخية، وتفصيل تلك المراحل كالتالي:

1/ جمع المادة العلمية: عن طريق جمع كل ماله علاقة بالموضوع من هذه المصادر، من خلال اعتماد طريقة البطاقات الورقية، مع ضرورة المفاضلة بين مختلف المعلومات التي جمعها فلا يدون إلاّ ما يُفيده ويخدم موضوعه.

2/ مرحلة النقد: وذلك من خلال المنهج العلمي التاريخي في البحث، بحيث يتم فحص المعلومات التاريخية بعد جمعها من المصادر وانتقاء الجيد منها، مع تحقيقها وترتيبها وفق قواعد معينة، ذلك لان المنهج التاريخي هو منهج نقد دائم وشك، فعلى الباحث أن يتحرى مختلف النصوص التي جمعها وينقدها نقدا ظاهريا وباطنيا، ويجتهد في تنظيمها وترتيبها وتركيبها وتفسيرها؛ ثمّ عرضها عرضا تاريخيا معقولا بطريقة منهجية، مع ابتعاد الباحث عن التحيز والتزام الموضوعية.

3/ مرحلة التحقيق: ومعناها أن يصل الباحث إلى مجموعة من الآراء عن حوادث الزمن الماضي قد تُطابق الواقع، ولا يتوقف عن النقد حتى يصل إلى الحقيقة التاريخية التي بواسطتها يستطيع التمييز بين الرويات المكذوبة والرويات المشكوك في صحتها والرويات التي تحمل الصدق، وفي هذا الصدد ذكر بأن "التاريخ عرض وتحليل وتعليل وحكم، والمؤرخ الحق هو حاكم نزيه حر الضمير يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من النصوص، وينظر في الملابسات، ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه عادلا لا عاطفة ولا رياء ولا محاباة".

4/ مرحلة الاستنتاج: يلجا الباحث إلى مرحلة الاستنتاج خاصة حين يكون هناك صمت للمصادر التاريخية عن حادثة معيّنة فيلجأ إلى استنتاجها وفق حوادث أخرى مشابهة وبالتالي يسعى إلى سد الثغرات عن طريق الاجتهاد والاستنتاج، وتتركز هذه العملية على تحليل الأفكار وترتيبها، وتكم الغاية في الكشف عن بنية وخفايا موضوع الدراسة.

5/ مرحلة تحرير الموضوع: وهي آخر مراحل البحث وتوظيف المصادر التاريخية، حيث يتمكن الباحث بواسطة هذه المرحلة من عرض بحثه للقارئ بأسلوب علمي أكاديمي يبدأها بمقدمة تتلاءم وطبيعة المادة المدروسة، ثم يوضح منهج الدراسة، ثم عرض فصول الموضوع والربط بينها مع سلامة الأسلوب وسلاسة الأفكار، وتوثيق المعلومات من المصادر التاريخية المتنوعة، وفق المنهجية العلمية.